في تجربة فاضل السلطاني..الشعر غرق في الأعالي

رياض النعماني

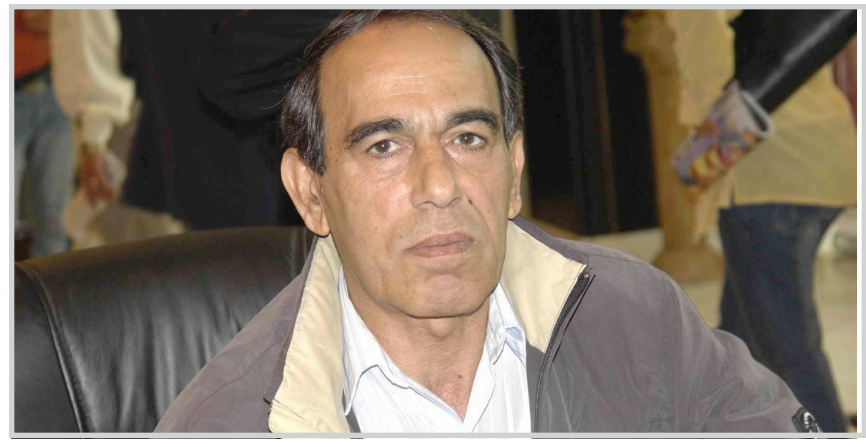
فاضل السلطاني

في شعر فاضل السلطاني موسيقى زاخرة ، تهيمن على تشكيل نصه الشعري. والموسيقى هنا لا تأتي من توازيات تسلسل العبارة أو اعتماد مجزؤات تتكرر فتحدث صوتاً عالياً.. منغماً.
أو إلحاح واضح على قافية تشيع رنينها في مساحات وتركيب بناء القصيدة . إنما تأتي هذه الموسيقى من حركية داخلية تبدأ منها ثم تمتد بأمواج عريضة ، لكن ساجية ، خافتة ، رخية كأنها من أشكال روح فاضل الهادئة .
وهنا نستطيع أن نلمس معادلاً موضوعياً يتجلى بأعلى صوره المعبرة ، فالكون الداخلي اللامتناهي للشاعر يقابله الكون اللامتناهي للوجود . نغمة تجاور نغمة وتسيران معاً في طريق الرؤى والذهاب البعيد اللامرئي الذي لا يقال . وهما قبلة الشاعر وأحد أهم أهداف الشعر الكبرى. .
وبما أن الموسيقى تجريد يستبطن الوجود الكلي ، فانها وجه من وجوه اللانهاية .لذا فالقبض على هذه اللانهاية أو كتابتها لا يحتاج فقط إلى آليات عمل الفكر ، بل ينبغي أن تتوفر له رؤيا . والرؤيا فقط تمكن الشاعر من الدوران مع كون الموسيقى الذي هو كون الكون .
أذن ممكن للشاعر-وبقوة الشعر- من رؤية حركة الجملة الموسيقية نابضة ، حية مجسدة على بياض يفتح جمله بغبطة فسيحة تسمع فيها كما يحصل في البناء السيمفوني باصطدام أمواج الجمل العالية، ثم خفوتها التدريجي شيئاً فشيئاً إلى أن تتلاشى على شاطئ يستفيق على هبوط الضوء الخالق . المحيي العظيم . ضوء الشعر الذي لا يموت والذي يظل ذلك المجهول الذي لا يكتشف بشكل نهائي . لأن الاكتشاف النهائي للشعر يعني موت الأسئلة والفتوحات الكبرى في العلم والثقافة والمستقبل المتجدد والمفتوح على مفاجآت لا يمكن توقعها.
وفي هذه الحالة فإن وجود الإنسان برمته سيكون غير مبرر ، لأن الماضي سيحضر ويهيمن على كل شيء.
وهنا فإن الموت سيكون كل شيء ، بينما أحلام الكائن ووعود المستقبل الخلاق وما أنجزته البشرية من جمال ومعارف سدى .
الباقي الحي الذي لا يزول هو عصر الكهوف والغبار والمعطى الواحد الشامل ، النهائي ومنظومة المعارف المكتفية بذاتها والتي لا تقبل الأسئلة أو حركة الروح أو الجدل النير ، أي الدين .
ولو أن بعض المشكلات الوجودية الكبرى لا يمكن أن تحمل أو تقرأ قراءة عميقة وخلاقة ، إلا بوعي كوني متفتح ، يذهب بعيداً في قراءة واكتشاف الجذور الأولى المشتركة بين الطبيعة والدين والإبداع والروح ، ويرى بأم حدسه وخياله ولادة الغمغمة الأولى الغامضة للقصيدة التي خلقت في هذه الحاضنة السرية المشتركة.

العراق والأردن..المثقفون مرّوا من هنا أيضا

صلاح حزين

في أعقاب حرب الخليج الأولى في عام ١٩٩١، وجد العراقيون أنفسهم قادرين على مغادرة بلادهم في صورة شرعية، بعد سنوات من المنع من السفر الذي كان مفروضا عليهم. ولكن ظروف الهزيمة العسكرية التي كان يعيشها العراق آنذاك، جعلت هذه المغادرة محددة في اتجاه واحد هو اتجاه الحدود الأردنية التي استثنيت من الحصار الدولي الذي كان قد فرض على العراق عقابا له على غزوه الكويت في العام السابق، والذي كان السبب في الحرب التي شنها تحالف دولي على العراق وانتهت بهزيمة كارثية، فتحولت الحدود الأردنية إلى ممر إجباري للخارجين من العراق.
تدفق آلاف العراقيون على الأردن، بعضهم أقام فيه، ومعظمهم اتخذه محطة ينطلق بعدها إلى بلاد الله الواسعة هربا من أوضاع العراق التي فاقمها قرار الحظر الدولي عام ١٩٩٠ وكان بين هؤلاء أكاديميون وفنانون وأدباء ومثقفون وكتاب وصحفيون ومترجمون. معظم هؤلاء غادروا الأردن فيما بعد، وبقي عدد قليل منهم إلى الآن، قبل أن ينضم إليهم عدد من المثقفين الذين كانوا مرتبطين بالنظام السابق، والذين غادروا العراق هرباً من تطورات ما بعد الاحتلال، مشكلين تنويعا على المشهد الثقافي العراقي المغترب، والذي أصبح يتكون من المثقفين المعارضين للنظام العراقي السابق الذين بدأوا في مغادرة العراق منذ أواخر السبعينيات بعد اشتداد وطأة النظام الذي كان قد تسلمه صدام ، والذي دشن بداية حكمه بحملة قمع طالت الأكراد والشيوعيين وأعضاء حزب الدعوة بصورة خاصة، وكان نصيب الأردن من هؤلاء قليلاً، إذ غادر معظمهم إلى سوريا ولبنان والكويت.
بعد عام ١٩٩١ جاء إلى الأردن المثقفون الهاربون من الأوضاع الجديدة التي باتت لا تحتمل، وكان بعض هؤلاء من المعارضين الذين أحنوا رؤوسهم للعاصفة السبعينية ولاذوا بصمت بليغ ثمناً لبقائهم الذي استمر أكثر من عقد، وبعضهم آثر الابتعاد عن السياسة في بلد أصبحت السياسة تعني فيه الإعدام والسجن. بعض آخر كان مستقلا، وجد نفسه يقع ضحية تطورات سياسية كان حريصاً على عدم الاهتمام بها. وهكذا شهد الأردن قدوم المعارضين المعلنين والمعارضين الصامتين والمستقلين، وأخيراً المؤيدين للنظام السابق، أي ممثلي أطياف الثقافة العراقية كافة. واستقر كل هؤلاء لمدد متفاوتة في بلد صغير اسمه الأردن.
أحضر هؤلاء المثقفون معهم رؤى ثقافية متجددة، وتراثاً ثقافياً عريقاً، وزخماً ثقافياً وفنياً كان أكبر من أن يستوعبه بلد صغير مثل الأردن، فقد كان هناك فنانون كبار في مضمار الفن التشكيلي، مثل رافع الناصري و شاكر حسن آل سعيد ومحمد مهر الدين الذي بقي ضيفاً دائماً على الأردن قبل أن يقيم نهائياً في عمان. وكان هناك رسامو كاريكاتير مثل خضير الحميري. ومؤيد نعمة، ومسرحيون كبار مثل الراحل عوني كرومي، وجواد الأسدي ويوسف العاني، الذي ارتبط اسمه بتأسيس المسرح العراقي والذي ما زال يقيم في عمان، ونقاد مثل طراد الكبيسي وياسين النصير والراحل محمد مبارك، ومبدعون كثر مثل بتول الخضيري وعبد الستار ناصر وعلي بدر، ومعماريون مثل خالد السلطاني، فضلا عن أعداد كبيرة من الصحفيين والكتاب والأكاديميين والمترجمين. وقد شكل الشعراء حالة خاصة، فهنالك قول شائع يرى أن في العراق شعراء بقدر ما فيه من نخيل. وإن كان من الصعب أن يتذكر المرء أعداد الشعراء الذين مروا بالأردن أو أقاموا فيه، فيكفي القول إنه في وقت واحد كان يقيم في عمان ثلاثة من أكبر شعراء العراق والعالم العربي هم: سعدي يوسف وعبد الوهاب البياتي وحسب الشيخ جعفر.
وفضلا عن هؤلاء وأولئك، كانت عمان معبرا لأعداد كبيرة من المثقفين والمبدعين إلى بلدان عربية وأوروبية أخرى، ونقطة التقاء أعداد كبيرة منهم بأصدقائهم ومعارفهم وأقاربهم، ومحطة انتظار للذي يأتي ولا يأتي.
خلال وجودهم الكثيف، وخاصة في التسعينيات، اتخذ هؤلاء لأنفسهم أماكن للقاء؛ في مقاه مثل "مقهى العاصمة" الذي هدم بعد موجة من الاحتجاج الصامت الذي شارك بعضهم فيه، و"مقهى السنترال" الذي ما زال عنواناً للمثقفين العراقيين ومكاناً لمن بقي منهم في عمان. وقبل ذلك كان "مقهى الفينيق" مكان اللقاء المفضل للشاعر عبد الوهاب البياتي بضيوفه وزواره الكثير. وتكونت لديهم منتديات ومعارض غاليريات لعرض منجزات الفن التشكيلي مثل غاليري الأورفلي، الذي استقطب، وما زال، معارض فنية كبيرة لفنانين بارزين. وبسبب التاريخ الزاخر للفن التشكيلي العراقي، كانت معارض الفن التشكيلي هي النشاط الأبرز للفنانين العراقيين الذين وجدوا في الأرض الأردنية.
في بداية التسعينيات، وهي فترة انتعاشة قصيرة للمسرح الأردني، شهدت الساحة الثقافية تجارب مسرحية ساهم فيها مسرحيون عراقيون كبار، خاصة جواد الأسدي الذي استمرت إقامته في الأردن وقتاً طويلاً نسبياً. كما اغتنت الصحافة الأردنية والثقافية منها في صورة خاصة، بمقالات كتبها كتاب وصحفيون، وبقصائد لشعراء وقصص لقاصين وروائيين نشروا في الصحافة مقالات وقصصا وفصولا من روايات قبل أن يرحلوا. وفي بلدان اغترابهم الجديدة كتب هؤلاء المثقفون الذين استقروا يوماً في عاصمة متعطشة للثقافة عن رحلاتهم إلى جهات الدنيا الأربع. كثير منهم ذكر عمان في رواياته وقصصه، ولكن بوصفها محطة وليس بوصفها حاضنة.
في تاريخ الفن التشكيلي العراقي، ثمة مفارقة لافتة، هي أن فنانين من بولندا مروا بالعراق في طريق هربهم من الاحتلال النازي لبلادهم، إلى فلسطين حيث كانت القوات البريطانية، والتي كانت تجند البولنديين في صفوفها لمحاربة النازيين، بوصفها، أي بريطانيا، محتضنة حكومة بولندا الحرة التي أعلنت مع احتلال هتلر لبلادهم. المفارقة هي أن هؤلاء الفنانين البولنديين العابرين أحدثوا أثراً ملحوظاً في حركة الفن التشكيلي العراقي التي انتعشت في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، وأسست للانطلاقة الكبرى للفن التشكيلي العراقي فيما بعد.
لكن أعداداً كبيرة من الفنانين، ومن المبدعين العراقيين الآخرين، مروا بالأردن، وأقاموا فيه لفترات متفاوتة ثم رحلوا من دون أن يتركوا كبير أثر في الحركة الثقافية أو الإبداعية الأردنية، ومن دون أن تحاول الحركة الثقافية الأردنية الاستفادة من خبرات ورؤى وتقاليد الثقافة العراقية الثرية التي جلبوها معهم قبل أن يرحلوا ويحملوها معهم إلى منافيهم الجديدة البعيدة.

رسالة باريس الثقافية

دمى وممثلون حقيقيّون في آن واحد على مسرح الكوميديا الفرنسية

د. مهدي صالح حمادي
باريس

تقوم الآن دمى بأداء ادوار متنوعة على مسرح الكوميديا الفرنسية في باريس التي اسسها الملك الفرنسي لويس الرابع عشر في عام ١٦٨٠ في حي السان جرمان. وهذه هي المرة الاولى في تاريخ هذه الكوميديا الشهيرة التي تلعب فيه، دمى ادواراً رئيسية في مسرحية للكاتب البرتغالي انتونيو خوزيه دا سليفا (١٧٥٠- ١٧٣٩) تحمل عنوان حياة دوم كيشوت العظيم علما بان عددا كبيرا من المسرحيات الشهيرة سبق ان عرضت على هذا المسرح الذي يتمتع بشهرة عالمية كبيرة. ويقوم ممثلون حقيقيون يبلغ عددهم العشرة بالتمثيل في هذه المسرحية الى جانب ٥٥ من الدمى المصنوعة من القماش والاسفنج قامت بتصميمها الفنانة آميلي فالنتان مديرة مسرح فوسا ومخرجة المسرحية. وتجدر الاشارة هنا الى ان وجود الدمى لم يتطلب تغييرحجم المسرح ولايعني بأنها صغيرة الحجم ، فقد حافظ المسرح على مساحته الاعتيادية كما ان حجم الدمى يساوي حجم الممثلين الحقيقيين وانها تقف الى جانبهم وتتكلم مثلهم وتصدر أصواتاً بشرية متشابهة لأصواتهم خصوصا ان كاتب المسرحية اراد ان يجسد من خلالها نوعاً من التعايش الانساني بين دمى لاحياة فيها وبين اناس احياء. علما بانها عرضت للمرة الاولى في العاصمة البرتغالية لشبونة عام ١٧٣٣، أي قبل ست سنوات من صدور قرار محكمة التفتيش بحرق هذا الكاتب الذي كان يلقب باليهودي بنفس الطريقة التي اعدمت فيها جان دارك فوق كومة من الحطب.
ان شخصية دوم كيشوت هي صورة ساخرة مأخوذة من رواية للكاتب الاسباني ميغيل دي سرفانتس (١٥٤٧- ١٦١٦) تحمل عنوان دون كيشوت بحر المانش الذي بدأ بكتابتها عام ١٦٠٥ وأنجزها قبل وفاته عام ٦١٦ . ولم يكن هذا الكاتب معروفاً في البداية في الاوساط الادبية ، وكان مجردجندي متقاعد يعاني الضيق المادي. لكنه أكتسب شهرة كبيرة بعد كتابته رواية دون كيشوت ، التي حققت نجاحا كبيرا في اسبانيا منذ صدورها، علماً بأنها طبعت ٥٠٠ مرة باللغة الاسبانية و٢٠٠ مرة باللغة الانجليزية وما يعادل هذا الرقم باللغة الفرنسية كما ترجمت الى معظم لغات العالم. وهي تعتبر واحدة من الروايات العالمية في الادب الروائي الساخر وتحكي قصة رجل في الخمسين من عمره ابان القرن السادس عشر كان ينشد نشر العدل ونصرة الضعفاء والدفاع عن الارامل واليتامى والمساكين علما بأننا نجد شخصية دون كيشوت ملامح من ابطال القصص العربية مثل عنترة بن شداد وذلك يؤكد حقيقة التأثيرالواضح للثقافة العربية في الاندلس.كما نجد تقارباً بين شخصية دون كيشوت في الرواية ودوم كيشوت في المسرحية والذي يصبح والياً لاحدى الجزر.
وتذكرنا الدمى المسرحية والافلام السينمائية اذ انها تبدو كبيرة في بعض الاحيان وصغيرة في احيان اخرى وقد حققت اميلاي فالنتان نجاحاً كبيراً بصنع الدمى واخراج هذه المسرحية، اذ ان اخراجها يتطلب موهبة فذة وقد قامت باستخدام تماثيل صغيرة ونتوءات اصطناعية للتعبيرعن المساحة الشاسعة للمناظر الطبيعية التي تتخلل المسرحية، كما قام عدد من الاشخاص الاختفاء خلف الدمى كي يتكلموا وكأن الدمى هي التي تتكلم بصورة طبيعية وهي التي تغني وقد برعت المخرجة في عرض تلك المشاهد الى درجة كبيرة بحيث ان المشاهد يندمج ويشعر بأن معجزة تدور امامه.. وتقول المخرجة بهذا الصدد " لقد حاولت ان اجد اسلوبا خاصا للتأكيدعلى الصفة الانسانية لهذه الدمى التي لم ارد وصفها على انها مجرد تماثيل لعرض الازياء وانما هي في الواقع شخصيات تتمتع بحس انساني وقادر على تجسيد الطابع الانساني بأحلى صوره ومعانيه. وهذه هي الصورة التي اردتها والتي اجبرت الممثلين على قبول تقاسم اللعبة المسرحية مع الدمى. وكانت النتيجة مذهلة ومقنعة ومؤثرة في نفوسهم وفي نفوس المشاهدين الذين حضروا عرض المسرحية . فيقوم الممثلون بالتحدث مع الدمى بشكل طبيعي كما ان وجود الدمى يعزز الجانب الساخر الذي اراد المسرحي البرتغالي دا سبلفا اعطاءه الى دوم كيشوت صاحب الشخصية الصلفة في عالم تتقدم فيه القيم الانسانية والمثالية ويحرم فيه الانسان من كل شيء حتى التمتع بأحلام جميلة. فهذه المسرحية التي اراد مؤلفها من خلالها إضحاك الناس وإدخال البهجة في نفوسهم تنطوي على الكثير من الآلام والاحزان.

في قصائد له تنشر أول مرة بالعربية

تجربة غينسبرغ في كتابة قصائد الهايكو

ألن غينسبرغ
ترجمة :- عمار كاظم محمد

قصائد هايكو

هو نوع من الشعر الياباني، يحاول شاعر الهايكو، من خلال ألفاظ بسيطة التعبير عن مشاعر جياشة وأحاسيس عميقة. كان الـ"هايكو" سبباً في ظهور "الصورية" وهي حركة شعرية أنجلو- أمريكية راجت في أوائل القرن العشرين (الـ٢٠ م)، كما أثر في العديد من الأعمال الأدبية الغربية الأخرى. وهذه المجموعة من قصائد الهايكو للشاعر الامريكي الشهير ألن غينسبرغ ، (١٩٢٦ -١٩٩٧) والتي لم تنشر سابقا وتنشر بالعربية أول مرة نقدمها هنا لتعطينا فكرة عن تجربته في كتابة هذا النوع من القصائد وعن حركة جيل " البيت " الذي كان الشاعر الراحل من رواده الاوائل .

أشرب شايي بلا سكر
وليس هناك من اختلاف

❖ ❖ ❖
العصفور الدوري يذرق
من الاعلى الى الاسفل
آه ، دماغي والبيض

❖ ❖ ❖
انظر من وراء كتفي
كل ما خلفي مغطى

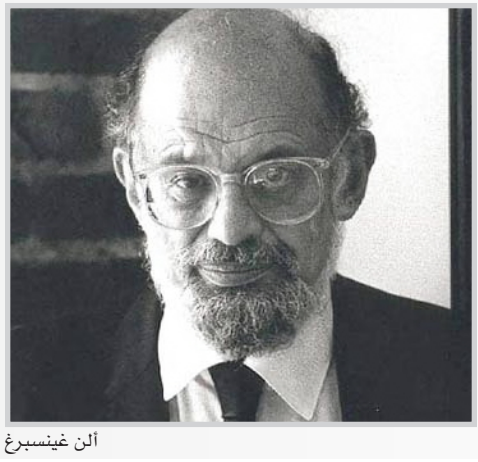
ألن غينسبرغ

بازهار الكرز

❖ ❖ ❖
الهايكو شتاءً
أنا لا اعرف اسماء الازهار
فقد ماتت حديقتي

❖ ❖ ❖
فعصت البعوضة
وغاب عني
السبب الذي دفعني لذلك

❖ ❖ ❖
أقرا الهايكو
وانا حزين
وبي حنين الى ما ليس له اسم

❖ ❖ ❖
الضفدع يطفو
في جرة الصيدلية
والمطر الصيفي على الارصفة الرمادية

❖ ❖ ❖
على السقيفة
وفي ألبستي الداخلية
ضوء يومض في المطر

❖ ❖ ❖
سنة أخرى
مرت على العالم
ولم يختلف شيء

❖ ❖ ❖
أول شيء بحثت عنه
في حديقتي القديمة
كان شجرة الكرز

❖ ❖ ❖
منضدتي القديمة
اول شيء بحثت عنه
في بيتي

❖ ❖ ❖
مجلة طفولتي
أول شيء وجدته
على منضدتي القديمة

❖ ❖ ❖
شبح امي
أول شيء وجدته
في غرفة الجلوس

❖ ❖ ❖
قد اقلعت عن الحلاقة
لكن العيون التي حدقت بي
مازالت في المرآة

❖ ❖ ❖
المجنون يخرج من الافلام
كشارع في وقت الغداء

❖ ❖ ❖
مدن الاطفال
في قبورهم
وهذه المدينة ايضا

❖ ❖ ❖
اتكئ على جانبي
في الفراغ
وانفاسي في طرف انفي

❖ ❖ ❖
في الطابق الخامس عشر
يمضغ الكلب عظمة
مثل صراخ سيارات الاجرة

❖ ❖ ❖
القمر على السقف
الديدان في الحديقة
سأستأجر هذا البيت